

دور المتحف في تثمين التراث المادي

أ- لعمى عبد الرحيم

- قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية.

- فرع فن وحفظ التراث.

جامعة الدكتور يحيى فارس - المدية-

abderrahimlama@hotmail.fr

Résumé :

Le musée se soucie d'une façon ou d'une autre patrimoine matériel et préserve l'histoire des peuples, pour mieux connaître les civilisation passées.

Finalemnt l'institutue muséale rendre les visiteurs s'intéressent a leur patrimoine.

مخلص:

تهتم المؤسسة المتحفية بالتراث المادي وتصونه من الضياع، فهذه المؤسسة الثقافية من أهم الوسائل التي تحافظ على ماضي الأمم وتاريخها، وهي النافذة التي تطل من خلال الأجيال الحاضرة على ما أنجزه الآباء والأسلاف. إنها تساعد في المحافظة على الهوية الثقافية لذا أصبح المتحف في كثير من دول العالم مركزا ثقافيا وبحثيا يقوم بتوعية المجتمع بفئاته المختلفة بالهوية الثقافية، كما يسعى إلى تمكين الزائر من اجل أن يهتم بتراثه، يتعرف عليه ثم محاولة فهمه والبحث فيه مما يساهم بشكل كبير في بقاءه والمحافظة عليه في زمن العولمة. إن إنشاء المتاحف يهدف بالأساس إلى حفظ التراث فالمتحف ينشد إلى غاية جليلة تتمثل في تلك الرسالة العملية والثقافية ويكون بذلك باقتناء كل ما أمكن الحصول عليه من آثار ومقتنيات تحفية تعبر عن تراث محلي وإنساني فهذه المؤسسة ترسي تقاليد جديدة في التعلم والتثقيف بالموازاة مع المتعة للزوار على مختلف أعمارهم ومستوياتهم دون حواجز المؤسسات الثقافية الأخرى.

مقدمة:

تقاس عراقة الأمم بموروثها الحضاري والثقافي وهذا الموروث يتمثل في تراكمات، تكونت وتبلورت حسب عراقة الأمم أو تلك وعمق تاريخها والآثار، لا ريب هي الدليل الأوضح على خلفته الأمم من شواهد حضارية تعاقبت على مر الدهور والآثار بنوعيتها الثابت والمنقول هي ثروة الأمة التي تربطها بماضيها ولا يفرض بها إلا جاهل والآثار معين للباحثين والدارسين في تاريخ معين للباحثين والدارسين في تاريخ الأمم والشعوب، لكن الثورة المعرفية والتكنولوجيا وتسارع الأحداث في العالم اليوم حتمت علي الدول وإعادة النظر في مختلف مناحي الحياة، فأثر ذلك التطور على تراث أية امة مما قد يعرض عاداتها وتقاليدها إلى هزات على المستوى الثقافي والاجتماعي وما يصاحب ذلك من ضياع للهويات الثقافية وتأثير سلبي على الموروث الثقافي ومن اجل هذا كان لزاما على المؤسسات الثقافية أن تجتهد في حفظ التراث من الزوال،

ومن تلك المؤسسات المتاحف التي أنشأت لحفظ تلك الآثار ليطلع عليها القاصي والداني، الزائر والمقيم، فبذلت الدول في هذا المجال الأموال الطائلة إيماناً بأهمية رسالة المتحف العلمية والتربوية ولم تتردد بعض الدول في القرنين الماضيين من اقتناء كل ما أمكن الحصول عليه من آثار وتراث الأمم الأخرى وحفظه في متاحفها لجذب السائحين، ثم إنَّ تفعيل الدور التربوي والتعليمي للمؤسسة المتحفية في إبراز قيمة التراث والتوعية بأهمية مسألة ملحة وضرورية من أجل امتلاك الأدوات والاهتمام بالتراث وحفظه والتعرف عليه والبحث فيه وفهمه مما يساهم بشكل كبير في بقاءه والمحافظة عليه.

إن التراث يعتبر بوثقة للتنوع الثقافي وعاملاً يضمن التنمية المستدامة كما تنص عليها اتفاقية اليونسكو لعام 2003 والمتعلقة بصون التراث الثقافي ومن ثمة كان لزاماً على المؤسسات الثقافية أن تجتهد في حفظ التراث من الزوال ومنها المتاحف، إذ أن الاهتمام بهذا التراث المادي وتطوير طرق عرضه في المتاحف سيعود على تطوير الوعي الاجتماعي والنفسي للناس بموروثهم الثقافي فيتقربون من هويتهم الأصلية.

انطلاقاً من هذه التوطئة ثمة سؤال يطرح بإلحاح خاصة في بلدنا وأيضاً على مستوى العالم العربي، هل يقوم المتحف بالحفاظ على التراث المادي؟ ما الدور الذي يجب أن يقوم به في حفظ وتنشيط هذا التراث؟

إجابة عن التساؤل تتربط مفاهيم . لها علاقة بالتراث والمؤسسة المتحفية ومن جملة تلك التعاريف والمفاهيم التراث والهوية الثقافية التراث الإنساني والموروث الثقافي المحلي، المتحف كمؤسسة تعليمية غير أكاديمية اهو جدير برعاية الملكية الثقافية فانطلاقاً من هذه الإشكالات ارتأيت أن اقسّم الموضوع من ثلاث محاور أساسية:

- في المحور الأول حاولت تقديم تعريف مرتبطة بالتراث كمفهوم الثقافة، الآثار، الهوية الثقافية، تراث الإنسانية، الممتلكات الثقافية، التراث الثقافي والمادي.

- في المحور الثاني عنوانته من المتحف إلى المؤسسة المتحفية لخصت الأسباب التي جعلت المتحف ينتقل من مكان تكس فيه المتحف الى المؤسسة المتحفية من خلال أهداف إنشائها.

- في المحور الثالث أتحديث عن الدور الذي يجب أن تلعبه المؤسسات المتحفية في الحفاظ على التراث المادي مقارنة بمثيلاتها في العالم العربي.

ثم خلصت إلى توصيات تثمن الدور المنوط بالمؤسسة المتحفية في الحفاظ على التراث المادي نراها من الأولويات في مجال المتحدث عنه.

المحور الأول: مفاهيم وتعريفات مرتبطة بالتراث:

تتعدد المفاهيم والتعريفات حول موضوع التراث الثقافي المادي منها مفهوم الثقافة المادية حول أي مجتمع بما تملكه من مقدرات ملموسة تمثل الماضي والحاضر ورؤى المستقبل، و فضلاً عن ذلك أن التراث يشكل مركباً رئيسياً لخصوصية الشعوب والجماعات كما انه يقدم الفائدة الاقتصادية وخاصة على الصعيد المحلي ومن أهم هذه المفاهيم والتعريفات ما يلي:

1- الثقافة: هناك تعريفات ومفاهيم متعددة ومنها التعريف الذي يتماشى مع الموضوع "وتعني المحصلة الكلية للتراث الإنساني والاجتماعي سواء كان هذا التراث مادياً أو غير مادياً"⁽¹⁾.

1- رفعت موسى محمد، مدخل إلى فن المتاحف، الدار المصرية اللبنانية، ص 16.

2- **الآثار:** "يعتبر أي اثر أي الشيء الذي خلفته الحضارات أو تركته الأجيال السابقة كما يكشف عنه أو يعتبر عليه سواء كان ذلك عقارا أو منقولا من الفنون أو العلوم أو الآداب أو الأخلاق أو العقائد أو الحياة اليومية أو الأحداث العامة وغيرها وما يرجع تاريخه إلى مائة سنة مضت متى كانت له قيمة فنية أو تاريخية".⁽¹⁾

3- **الهوية الثقافية:** "تعد كيان تاريخي متعلق بالتراث والمعاصرة والأصالة والحضارة". وتعرف على انه ما يمنح الناس مشاعر الانتماء والأمن والاندماج بالجماعة حيث تزودهم بالمعايير المشتركة التي تمكنهم من التواصل و التفاعل وتزودهم بالقيم والطموحات المشتركة.⁽²⁾

4- **التراث:** لما كان التراث متعلقا بالماضي وكان هذا الماضي لحظة تراكم فإن التراث هو نتاج الماضي بعمومه وكل ما له من قيمة حضارية وهناك تعريف معجمي للتراث، فهو اللغة مشتق من الإرث، يقول ابن منظور في هذه المادة من لسان العرب: الإرث وهو الأصل ويقال الإرث في الحسب الموروث في المال فالتراث هو ما مضى عليه خمسون عاما أو أزيد، والمعنى اللفظي العام للتراث (HERITAGE) هو أن الورث أو الإرث والتراث كلها. تنتمي لمعنى واحد "التراث هو مجموعة الانماط الحياتية في جوانبها المادية والفكرية الملصقة بجيل أو أجيال سابقة"⁽³⁾.

1- المرجع السابق، ص 17.

2- المرجع نفسه، ص 20.

3- صباح فردي، التراث والعولمة، أنباء المتاحف العربية، العدد الخامس، الأردن، د ت ن ص 18.

5- **تراث الإنسانية:** يشمل كل ما أوريثته الحضارات السابقة لحاضرنا سواء من جانب الفكر و الأدب والفلسفة والثقافة أو في جانب الفنون والعمارة والتصميم أو في جوانب الحياة كافة فكرا وتطبيقا.

6- **الممتلكات الثقافية:** حددت منظمة اليونسكو عام 1970 مفهوم الممتلكات الثقافية ووصفتها بأنه كل ما تقرره كل دولة لاعتبارات علمانية من متاحف و أبنية ونصب تذكارية ودور الكتب الأخرى من صور و لوحات وتماثيل ومخطوطات وقطع أثاث وآلات موسيقية، ومكتشفات أثرية يزيد عمرها عن مائة عام"⁽¹⁾.

7- **التراث الثقافي المادي:** " هو تصور الأشياء يمكن إدراكها عن طريق الحواس ويشمل التراث المادي كل ما يصفه الإنسان في حياته وكل ما ينتجه العمل البشري من أشياء ملموسة"⁽²⁾

وكذلك ما يحصل الإنسان عليه عن طريق الاستخدام لفنونه التكنولوجيا فالتراث المادي المتمثل في المعالم الأثرية هي ممتلكات ثقافية وحصيلة الشعوب ومنجزاتها التي خلقتها و شواهد عليها وهي حلقة وصل بين الماضي والحاضر.

المحور الثالث: من المتحف إلى المؤسسة المتحفية

يراد بالمتحف لغة موضع التحف الفينة الأثرية والتحف الشيء الفاخر الثمين⁽³⁾ أما من الجانب الاصطلاحي فهو المكان الذي يحتوي على

وثائق تاريخية أو فنية أو علمية أو أنتوغرافيا موجودة بعين المكان والتي يحصل عليها عن طريق الشراء أو الهدايا،

لذلك جاءت فكرة نشوء المتحف من منطلق المحافظة على الشيء الثمين بدءا من أول معبد أسسه الإغريق على تل هيلكون قرب الأكربوليس إلى العصور الوسطى التي اهتم فيها الناس بأماكن العبادة (الكنائس ، الأديرة) وجعلوها كمتاحف صغيرة نصعت مبانيها بالرسوم والصور قاعاتها ككنوز غير أنه ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر تغير مفهوم المتحف وأنشأت المؤسسات المتحفية لعدة عوامل منها:

1- الحنين إلى الماضي.

2- حرص الإنسان على كل ما يتعلق بالتراث.

3- تشجيع السياحة بأنواعها الثقافية والدينية والترفيهية.

4- اهتمام الشعوب بتخليد رموز العظماء في مجالات الفكر والفن والعلم والأدب والسياحة.

فأصبح المتحف مؤسسة تقام بشكل دائم بغرض الحفظ والدراسة بمختلف الوسائل وعلى الأخص بعرض مجموعات فنية أو تاريخية أو علمية أو تكنولوجية على الجمهور من أجل تحقيق التعلم والمتعة والسرور و يبلغ عدد المتاحف حسب الإحصائيات حوالي 20 ألف متحف ذات طابع معين ويتميز بالتخصص في عرض أشياء معينة ومن أمثلة المتاحف حسب التخصص.

- **النوع الأول:** وتشمل متاحف الآثار وهي المتاحف التي تهتم باقتناء التحف الأثرية وحفظها وصيانتها وعرضها عرضاً فنياً ليستمتع بها الزائر.

2- **النوع الثاني:** وتشمل متاحف الفنون وتتخصص في عرض منجزات الإنسان الفنية وتنقسم إلى قسمين:

أ- متاحف الفنون الجميلة والغرض منها عرض اللوحات المرسومة قصد الإمتاع (الفن من أجل الفن).

ب- متاحف الفنون نصف التطبيقية وتشمل الأعمال الفنية التي يمكن استعمالها بالإضافة إلى التمتع بمشاهدتها مثل أنواع السجاد، الأثاث أو فنون التزيين.

3- **النوع الثالث:** يشمل متاحف العلوم، وتهتم بشرح مبادئ العلوم كالفيزياء والكيمياء والرياضيات وتطبيقاتها العملية في مجالات الزراعة والصناعة.

أنواع المتاحف من حيث الدور الذي تقوم به من إنقاذ التراث الإنساني ومع زيادة في المعارض واختلاف أساليب وطرق العرض وأصبح هناك نوع من التخصص في المتاحف ، حتى تكون متاحف قادرة على القيام برسالتها نحو المجتمع ثقافياً وفنياً وأثرياً وعلمياً فتصبح منارة للإبداع الذي يرتقي بالحسن والوجدان وبالتالي يمكن تقسيم المتاحف الحديثة إلى:

أ- **متاحف فنية :** تعرض فيها اللوحات الفنية بالإضافة إلى أعمال النحت والخزف ومن أشهر المتاحف الفنية متحف اللوفر في باريس.

ب- متاحف تراثية: وتشمل المتاحف التي تعرض الحضارات المختلفة من أدوات كانت تستخدم قديماً وتعرض تطور هذه الأدوات حتى وصلت إلى ما نحن عليه الآن كما يحتوي المتحف التراثي في الوطن العربي متحف مدينة السويداء السورية .

ج- **متاحف علمية:** وهي تعرض الأساليب العلمية والاكتشافات التي من خلالها الاستفادة من تطور شتى العلوم البيئية والعلمية والصناعية ومن هذه المتاحف متحف أكاديمية العلوم بولاية كاليفورنيا.

د- متاحف تعليمية : تعرض فيها عينات من المواد التي تخدم النواحي العلمية والثقافية وغالباً ما تحتوي هذه المتاحف على عدة قاعات للمعارض مثل قاعة عرض التراث وأخرى للآثار وثالثة للعلوم من أشهر هذه المتاحف متحف مدام توسو بلندن.

المحور الرابع: دور المتحف في حفظ التراث المادي

نحن بحاجة لأن نقدم للعالم تاريخ الآثار وحكاية التراث في متاحفها بوسائل العصر فيربط كثير من المهتمين بين مدى تقدم أي شعب من الشعوب وبين انتشار المراكز الثقافية ومن هذه لمراكز المتاحف بمختلف أنواعها وتخصصاتها إذ

تعد المتاحف مؤسسات ثقافية هامة من شأنها نشر وتعميق الثقافة المجتمعية لأي مجتمع حول تاريخه وهويته الحضارية وتراثه الفكري والمادي

وتعني المتاحف بشكل خاص بالتراث ذي الطابع المحسوس وتسعى جاهدة للحفاظ عليه وصيانته فالمتاحف من أهم الوسائل والطرق التي نحافظ من خلالها على ماضيها وحاضرنا وهي النافذة التي يطل من خلالها أبناء الحضارة المعاصرة والأجيال القادمة على ما أنجزه الآباء والأجداد فهي تساعدنا على الحفاظ على الهوية التاريخية والثقافية وفي الحفاظ على تراثنا الثقافي والحضاري.

ففي الوقت التي لا تزال متاحفنا مجرد مبان تاريخية ومخازن لحفظ الآثار والتراث أصبحت فيه المتاحف اليوم في العالم الغربي مراكز ثقافية وبحثية ومدارس تربوية ومما يدل على هذه الأهمية الكبيرة للمتاحف إنشاؤهم علم المتحف (Muséographie) ثم إن أهمية المتاحف لا تكمن في الحفاظ على التراث الوطني والإنساني فحسب بل في الدور الذي تلعبه في توعية المجتمع بمفهوم الهوية الثقافية-هذا هو الأمر الذي دفع الأمم المتحدة إلى تطوير متاحفها بحيث تصبح وجهة المجتمع وعنوانه الحضاري كما تبرز أهميتها نتيجة للأهمية التي حظيت بها الممتلكات الثقافية (كل المصوغات الأثرية والتاريخية والتراثية)

1- حسن القرموشي، المتاحف جسر للثقافة، تحميل من جريدة الوطن العمانية، 2003، ص1

2- المرجع نفسه، ص23.

1- بطرس الستاني ، القطر المحيط، بيروت ، لبنان ، 1956، ص 171

خلاصة:

إنه من أجل أن تحدث الطفرة المتمثلة في تحول المتحف من مخزن للآثار المؤسسة بحثية جمعت بعض الملاحظات التي يمكن أن تساهم في الدفع بدور المتحف في الحفاظ على التراث المادي بطبقة خاصة و الموروث بصفة عامة وهي:

- 1- تحسين حالة المتاحف وتفعيل نشاطاتها التربوية والاجتماعية والثقافية مطلب مهم وعاجل.
- 2- البحث الدائم عن وسائل فاعلة نحتمي بها تراثنا من كل أشكال العبث والنسيان بجعل التعليم في مقدمة اهتماماتنا للدور التميز الذي يمكن أن يقوم به في المحافظة على التراث ونقله من جيل إلى آخر.
- 3- إدخال وسائل الإعلام وأجهزة الحاسوب وشبكة الانترنت كوسيلة تعليمية شيقة للتراث في المتاحف وخارجها.
- 4- إنشاء متاحف افتراضية تعليمية بديلة عن المتاحف الحقيقية.
- 5- تصميم مناهج مدرسية تشتمل على أطراف مختلفة من التراث الوطني وتكون في نفس الوقت رابطا بين النشاطات المدرسية من جهة والمتحف من جهة أخرى.
- 6- إمكانية إشراك المؤسسة المتحفية في تصميم المنهج المدرسي فلعل ذلك يساهم في بث الوعي بالتراث وأهميته.
- 7- سعي المؤسسة المتحفية التعليمية إلى شراكة تعزز الحوار والتعاون بين رجال التعليم والمتحفيين والمختصين في التراث من أجل العمل على تمكين الطفل في امتلاك الأدوات اللازمة للاهتمام بالتراث والتعرف عليه والبحث فيه وفهمه مما يساهم بشكل كبير في بقاءه والمحافظة عليه.

قائمة المصادر و المراجع:

- 1- بشير زهدي، المتاحف، دمشق، سوريا، 1977.
- 2- دوجلاس ألان، المتحف مهامه، دليل تنظيم المتاحف، ترجمة حسين محمد عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993.
- 3- رفعت موسى محمد، مدخل إلى فن المتاحف، الديار المصرية اللبنانية، د ت.
- 4- شمر بيير، إدارة المتاحف، إعداد أدامز فيليب، ترجمة حسين عبد الرحمن، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1993.
- 5- علي حملاوي، مدخل الى علم المتاحف، د ن(دون تاريخ ومكان النشر).
- 6- علي رضوان، فن المتاحف، دون تاريخ ومكان النشر.
- 7- عياد موسى الغوامي، مقدمة في علم المتاحف، المنشأة العامة للنشر، طرابلس، ليبيا 1984.
- 8- محمد سيف النصر الفتوح- مقدمة في علم الحفائر وفن المتاحف- دون تاريخ ومكان النشر.
- 9- محمد عبد العزيز مرزوق الفنون الزخرفية في بلاد المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت د ت.
- 10- نرو فولمو لاجولي، عمارة المتاحف، إعداد أدام فيليب، ترجمة حسين عبد الرحمن ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، 1993.

مواقع انترنت:

[http:// www.drmosad.com](http://www.drmosad.com)

<http3://www.unesco.org>